مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (33) العدد (5)2011
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (33) No. (5) 2011

أثر المنطق والفقه في نشأة النحو العربي

الدكتور سامي عوض*
خالد عبد الرحيم**

(تاريخ الإيداع 29 / 9 / 2011. قبل للنشر في 5 / 12 / 2011)

□ ملخّص □

يعتقد بعض الباحثين والدارسين أن للمنطق والفقه أثراً في النحو العربي، ومن خلال هذا البحث سأحاول أن أبيّن بُعد نحونا عن المنطق والفلسفة وخاصة اليونانية. فقد أرسى علماؤنا القدامى أسس هذا العلم قبل دخول المنطق والفلسفة إلى ديارنا العربية، حيث أسس المأمون بيت الحكمة سنة خمس عشرة ومئتين للهجرة، ومعظم علمائنا كالخليل بن أحمد وسيبويه، والكسائي، والفرّاء، قد توفوا قبل ذلك بسنوات، ولكن الفقه كان له أثر واضح في الدرس النحوي، خاصة في معالجة المسائل، وتقسيم الأفكار، وعناوين الكتب، والتعليل..، والفقه ابن البيئة العربية لذلك كان له هذا التأثير واضح في علماء اللغة والنحو، ومما ساعده على ذلك أن معظم علماء اللغة والنحو كانوا على علم ودراية بالفقه من حيث هو أحد فروع علم الدين، الذي هو محور دراستهم، فكلهم يهدف بدراسته إلى خدمة النص القرآني، فالدرس اللغوي العربي نشأ وتطور في مناخ عربي، ومن ثم فإن محاولة فهمه من خارج هذا المناخ تؤدي إلى أخطاء كثيرة .

الكلمات المفتاحية: المنطق، الفقه، النحو.

* أستاذ – قسم اللغة العربية– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة تشرين– اللاذقية– سورية.
** طالب دراسات عليا(دكتوراه) – قسم اللغة العربية– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة تشرين– اللاذقية– سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (33) العدد (5)2011
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (33) No. (5) 2011

The Impact of Logic and Jurisprudence on the Emergence of Arabic Syntax

Dr. Sami Awad[*]
Khaled Abdul Rahim[**]

(Received 29 / 9 / 2011. Accepted 5 / 12 / 2011)

□ ABSTRACT □

Some researchers and scholars believe that logic and jurisprudence have an impact on Arabic syntax. Through this research, I will try to show how our syntax is distancing itself from logic and philosophy, especially the Greek one. Our ancient scholars laid the foundations of this science right before the emergence of logic and philosophy in the Arab region, where Al-Mammon established *The Wisdom House* in 215 a.h. Most of our scholars like Al-Khalid ibn Ahmed. Subway, Alexei, and al-fara died some years ago before this establishment. But jurisprudence had a clear effect on the syntactic class, especially in processing questions, dividing ideas, titles, and explanation, etc. In addition, being Arab in nature, jurisprudence also had a clear effect on linguists and syntacticians. What was conducive in this respect was that most linguists and syntacticians were aware of and familiar with jurisprudence being one of the branches of theology represented by the Quran. Moreover, the Arabic linguistic class developed in an Arab milieu. So, attempting to make it understandable outside this ambiance leads to making many mistakes.

Keywords: logic, jurisprudence, grammar

[*]**Professor, Department of Arabic, Faculty of Arts & Humanities, University of Tishreen, lattakia, Syria.**
[**]**Postgraduate Student, Department of Arabic, Faculty of Arts & Humanities, University of Tishreen, lattakia, Syria.**

مقدمة:

إنّ النحو العربي نشأ وتطور في البيئة العربية، ولكن بعض الباحثين والدارسين لا يتفقون مع هذه الحقيقة، ويحاولون إظهار أثر المنطق والفلسفة اليونانية في النحو، وفي هذا البحث حاولت أن أوضح هذا الخلاف بين الدارسين، وأثبت أن نحونا العربي نشأ نشأةً عربية خالصة، لكنه تأثر بعلم الكلام في إطاره الخارجي، وبالفقه في معالجة المسائل، والتعليل، وعناوين بعض الكتب التي أرست أصول علم النحو العربي وقد تناولت النقاط الآتية:

1-نشأة النحو نشأة عربية خالصة.

2-نشأة النحو لخدمة النص القرآني .

3-طرق انتقال الفلسفة الأفلاطونية إلى اللغة العربية:

أ. الطريق المباشر (كتب أفلاطون)

ب. انتشار آراء أفلاطون.

ت. فلسفة الإسكندرية.

4-الأدوار التي مرت بها الفلسفة العربية .

5-تأثر مدرستي البصرة والكوفة بالاتجاهات الفكرية الفقهية والفلسفية والمنطقية .

أ: مدرسة البصرة.

ب: مدرسه الكوفة.

6-مدى تأثر نحاتنا الأوائل بالمنطق والفلسفة.

7-أثر الفقه في النحو وتأثر علماء اللغة به.

8-خاتمة .

أهمية البحث وأهدافه:

1. يبين البحث نشأة النحو العربي نشأة عربية خالصة بعيدةً عن المنطق والفلسفة.
2. يبين البحث نشأة النحو العربي لخدمة النص القرآني، فالقرآن الكريم هو السبب الأكبر في نشأة هذا العلم
3. يبين البحث الدورين اللذين مرت بهما الفلسفة العربية وهما: دور النقل والتحضير، ودور ظهور الفلاسفة العرب.
4. اعتماد المدرسة البصرية على المقاييس العقلية لا يعني تأثرهم بالفلسفة الأفلاطونية.
5. اعتماد مدرسة الكوفة على الأصول العربية أكثر من اعتماد البصريين عليها (السماع القراءات القرآنية)
6. أثر الفقه في النحو العربي.

منهجية البحث:

يعتمد البحث على المنهج الوصفي، فهو الأنسب في مثل هذه الدراسة، التي تنظر إلى اللغة في واقعها، واستخدامها من قبل أهلها، خاصة العلماء أي المنهج الذي يعتمد واقع اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، بعيداً عن التأويل والتقدير.

نشأة النحو نشأة عربيةً خالصة:إذا أراد الباحث أن يبحث في نشأة علم من العلوم فلا بد أن يتوجّه إلى المكان الذي نشأ فيه، وإلى الأعلام الذين أسسوا بنيانه، وأرسوا قواعده. والنحو العربي علم أصيل نشأ وترعرع، ثم أثمر وأينع، فأين نشأ هذا العلم، وهل تأثر بعلوم وثقافات الأمم المجاورة؟ يقول الدكتور عبده الراجحي: "لا يكاد الحديث عن النحو العربي، وعن نشأته وتطوره يخلو من الحديث عن المصادر التي اعتمد عليها، والتي أخذ عنها أصوله ومصطلحاته .... من هنا كثر القول عن هذا النحو، يراه بعضهم عربياً قد نبت عند العرب كما تنب الشجرة في أرضها، وأنه أنقى العلوم العربية عروبة.....ويراه آخرون ناقلاً عن الهنود، أو اليونان، أو السريان"[1]

ويقرر بروكلمان أن" أوائل علم اللغة العربية ستبقى دائماً محوطة بالغموض والظلام، لأنه لا يكاد ينتظر أن يكشف النقاب بعد عن مصادر جديدة تعين على بحثها ومعرفتها، ومن ثم لا يمكن إصدار حكم قطعي مبني على مصادر ثابتة للحسم برأي في إمكان تأثر علماء اللغة الأولين بنماذج أجنبية..... والرأي الذي يتكرر دوماً عند علماء العرب، أن علم النحو انبثق من العقلية العربية المحضة، بغض النظر عن الروابط بين اصطلاحات هذا العلم ومنطق أرسطو، وفيما عدا ذلك لا يمكن إثبات وجوه أخرى من التأثير الأجنبي لا من القواعد اللاتينية ولا من الهندية"[2]

إن فَقدَنا للمصادر التي تعيننا على القول ببعد نشأة نحونا العربي عن المنطق الأرسطي لا يقف حاجزاً منيعاً في ذلك، فقد أسس المأمون بيت الحكمة سنة خمس عشرة ومئتين للهجرة ومنذ ذلك التاريخ بدأت الترجمة من السريانية واليونانية إلى العربية ، وكان النحو العربي في تلك الفترة قد بلغ مكانة عظيمة، وذلك لأن من أهم عوامل نشأته خدمة النص القرآني.

أثر القرآن الكريم في نشأة النحو العربي :

- لقد كان القرآن الكريم السبب الأكبر في نشأة النحو، فقد كانت هذه النشأة في رحاب القرآن الكريم ، وكان اللحن في قراءته هو اللافت للنظر، وهو الداعي لتقعيد كلام العرب بما يحفظ عليهم لغتهم فصيحة سليمة. ويؤكد مصطفى صادق الرافعي أن القرآن الكريم هو كان سبب العلوم الإسلامية، ومرجعها كلها، وما من علم إلا وقد نظر أهله في القرآن ،وأخذوا منه مادة علمهم، أو مادة الحياة له.[3]

- ولعله من المفيد أن نبين مكانة النحو في فهم كتاب الله، وتفهيمه كما أوضح ذلك مكي بن أبي طالب القيسي، يقول:" فإني رأيت أفضل علم صرفت إليه الهمم، وتعبت فيه الخواطر، وسارع إليه ذوو العقول علم كتاب الله تعالى ذكره..... ورأيت من أعظم ما يجب على الطالب لعلوم القرآن، الراغب في تجويد ألفاظه وفهم معانيه ومعرفة قراءاته ولغاته، وأفضل ما القارئ محتاج، معرفة إعرابه، والوقوف على تصرف حركاته وسواكنه ليكون بذلك سالماً من اللحن فيه....[4] فالنحو العربي نشأ في رحاب القرآن الكريم عربياً محضاً بعقول عربية، ودوافع عربية إسلامية.

أثر المنطق والفقه والفلسفة في النحو العربي:

- أريد أن أبيّن انتقال الفلسفة الأفلاطونية الجديدة إلى اللغة العربية ومراحل انتقالها، وأوائل من عمل في هذا المجال، دليل على بُعد نحونا العربي عن التأثر بالفلسفة والمنطق.

---

[1] النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج) د. عبده الراجحي ص9-10 مطبعة دار نشر الثقافة 1977

[2] تاريخ الأدب العربي كارل بروكلمان م2 ص123 نقله إلى العربية د. عبد الحميد نجار، دار المعارف في مصر ط2 1968م

[3] ينظر تاريخ آداب العرب،مصطفى صادق الرافعي ج2 ص122-123 مطبعة الاستقامة القاهرة ط3 / 1953-1954م

[4] مشكل إعراب القرآن لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ج1 ص63 ،تح د. حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ط4 /1988م

انتقال الفلسفة الأفلاطونية إلى اللغة العربية:

انتقلت فلسفة أفلاطون إلى اللغة العربية من ثلاث طرق:

1-الطريق المباشرة: وذلك بواسطة كتب أفلاطون التي ترجمت إلى اللغة العربية فقد ترجم العرب كتاب طيماس(time) وكتاب السفسطائي(sophiste) وكتاب النواميس (leslois) وغيرها حتى لقد ذكر ابن النديم في الفهرست أن حنين بن إسحاق [5] فسّر كتاب "السياسة لأفلاطون" وأنه رأى كتاب "المناسبات" من خط يحيى بن عدي وكتاب "سطسطس" وذكر كتباً أخرى لأفلاطون [6] وهذا يدل على اطلاع العرب على كتب أفلاطون وقد ألّف إسحاق بن حنين[7] كتاباً في أخبار الحكماء على مثال كتاب ": بلوتاوك"(plutargue) ذكر فيه فلسفة أفلاطون ولولا اطلاع العرب على فلسفة أفلاطون لما استطاع الشهرستاني أن يلخص مذهبه في الملل والنحل أضف إلى ذلك أن قسماً كبيراً من كتب أفلاطون ترجم إلى اللغة السريانية ككتاب (الفورجياس) وكتاب (فيدون) حتى إنّ أبا علي بن زرعة نقل من هذا الكتاب الأخير شيئاً يسيراً إلى اللغة العربية [8]

2-انتشار آراء أفلاطون بين حملة العلم السوريين والمصريين كيوحنا الدمشقي ويحيى النحوي فقد ولد يوحنا الدمشقي في دمشق وكان أبوه سرجون الرومي أميناً من أمناء معاوية وولده يزيد وبقي في خدمة الأمويين حتى خلافة عبد الملك بن مروان [9] أما يحيى النحوي فقد كان أسقفاً في إحدى كنائس مصر وعاش إلى أن فُتحت مصر على يد عمرو بن العاص وله من الكتب :كتاب الرد على أرسطاطاليس، (ست مقالات). أثبت فيه حدوث العالم [10]

3-طريق فلسفة الإسكندرية وهي الفلسفة الأفلاطونية الحديثة التي جمعت بين آراء أفلاطون وأرسطو وأشهر فلاسفتها" فيلون "(philon) وبلوتن (plotin) الذي يسميه العرب "الشيخ اليوناني[11] ومدرسة الإسكندرية لم يؤثر عنها في عصرها الأول قبل الميلاد الاشتغال بالفلسفة ولكنها منذ القرن الأول بعد الميلاد أخذت تنظر في فلسفة الأديان بوجه خاص [12]

الأدوار التي مرت بها الفلسفة العربية : مرت الفلسفة العربية في دورين رئيسين:

الدور الأول دور النقل والتحضير: بُديء به في زمان بني أمية فقد استقدم الخليفة أبو جعفر المنصور طبيباً من جند يسابور، وهؤلاء كانوا يتكلمون اليونانية إلى جانب السريانية، ثم تعلّموا الفارسية وهو جرجيس بن بختيشوع.[13] وأنشأ المأمون سنة خمس عشرة ومئتين هجرية بيت الحكمة في بغداد وجعله مقراً للترجمة من السريانية ومن اليونانية إلى العربية وجعل على رأسه يوحنا بن ماسويه وهو طبيب سرياني من مدرسة جند يسابور وكان حنين ابن إسحاق

---

[5] حنين بن إسحق العبادي وكني أبا زيد والعباد نصارى الحيرة كان فاضلاً في صناعة الطب فصيحاً باللغة اليونانية والسريانية والعربية (ت**260**هـ) وله كتب عديدة منها أحكام الإعراب على مذاهب اليونانيين، المسائل في الطب الفهرست للنديم، أبو الفرج محمد بن إسحق المعروف بالوراق،تح:رضا تجدّد ص**352-353**

[6] الفهرست للنديم ص**307**،

[7] إسحق بن حنين: أبو يعقوب إسحق بن حنين كان فصيحاً بالعربية ،نقل من اللغة اليونانية والسريانية، خدم الخلفاء والرؤساء، انقطع إلى القاسم بن عبد الله (ت**298**هـ) له كتاب الأدوية المفردة على الحروف، تاريخ الأطباء الفهرست ص**356**

[8] الفهرست ص**306**

[9] يوحنا الدمشقي (**54-122**هـ) فيلسوف دمشقي من معلمي الكنيسة الشرقية، شغل وظيفة مهمة في بلاط الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك. موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ج**2** ص**601**،دار الكتب العلمية- بيروت ط**1** /**1992**/

[10] الفهرست ص**314**

[11] انظر من أفلاطون إلى ابن سينا د.جميل صليبا ونزارعيون السود ص**20-21-22** دار البعث

[12] المدارس الفلسفية د.أحمد فؤاد الأهواني ص**107** دار البعث /**2007**م/

[13] المدارس الفلسفية ص**154**

أشهر المترجمين[14] وقيل إنه جعل حنين بن إسحاق رئيساً لها ونبغ ابنه إسحاق وكان هذا الدور واسع النطاق مفعماً بالحياة[15].

- الدور الثاني: دام من القرن التاسع للميلاد حتى القرن الرابع عشر،أي من أبي يعقوب الكندي إلى ابن خلدون إلا أن نزعة التفكير الفلسفي قد ظهرت في اللغة العربية قبل القرن التاسع بدافع العقائد الدينية والبحث في مسألتي"العدل والصفات" [16]

- ويعد أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث الكندي فيلسوف العرب ولد بالكوفة سنة خمس وثمانين ومئة ، وبها تعلم القراءة والكتابة والنحو والفقه ولكنه انصرف عن علم الكلام إلى علم الطب والفلك والرياضة والفلسفة وهو استمرار للتعليم السكندريّ الذي ورثه العرب بعد نقله إلى اللغة العربية فدفع هذا التراث دفعة قوية وطعّمه بالديانة الإسلامية موفقاً بين الدين والفلسفة[17]

- إن البحث في أمور العقائد كان يسمى (كلاماً) قبل تدوين هذا العلم وكان يُسَّمى أهل هذا البحث (متكلمين) فلما ألفت الكتب في مسائل هذا العلم أطلق عليه ما كان لقباً لهذه الأبحاث قبل تدوينها أي "علم الكلام" كما أُطلق على الباحثين فيه" المتكلمين"[18] وقيل سمي كذلك لأنه يورث القدرة على الكلام في العقائد والشرعيات ،أو لأن أنصاره تكلموا في مسائل كان السلف يسكت عنها أو لأنه في طرق استدلاله على أصول الدين ،وردّ الشبهات عنه أشبه بالمنطق، فُسمّي (كلاماً) مقابل كلمة(المنطق) التي تعني النطق أي الكلام أيضا.

تأثر مدرستي البصرة والكوفة بالاتجاهات الفكرية الفقهية والفلسفية والمنطقية

أ: مدرسة البصرة: اللغة عند مدرسة البصرة ما هي إلا مرآة تعكس بدقة وأمانة الظواهر والأشياء والمفاهيم، وينبغي أن نرى فيها القواعد نفسها التي يجري عليها الفكر في الطبيعة والحياة. من هنا نجد الاهتمام بأن يكون لكل نبرة وكل كلمة وكل جملة أساس ترتكز إليه من حيث حقيقة صورها و المواقع التي تشغلها.

لقد كانت المهمة الأساسية والأكثر صعوبة في مدرسة البصرة في إيجاد الصلات المتبادلة بين اللفظ والمعنى، وكان عليها أن تُدخِل اللغة بكاملها في قوالب عقلية ومنطقية وأن تظهر القواعد المتبَعة في ذلك وأن تبين أن الشواذ والانحرافات ما هي إلا أعراض ظاهرية وأن لها في ذلك أسباباً عقلية. وقد أخضع النحاة العرب اللغة إلى قواعد تطبّق بشكل عام شأنها شأن علوم الطبيعة والمنطق وعلم الاجتماع دون ان يفصلوا مع ذلك بين علم الصرف وعلم النحو وهذه القواعد سارية المفعول أينما كانت [19] وتتعلق الأبحاث الأولية في استخلاص "الأصول". فقد وجد نحاة البصرة أن من حقهم أن يتمسكوا بهذه الأصول وأن يرفضوا منها كل مالا يسوّغه التفسير العقلي ،ولكن اللغة الحية المتداولة لا تحتمل مثل هذا نظراً لتشعبها واتساعها فيظهر فيها الشواذ. [20] وهنا نجد أن البصريين – وهم سبّاقون في هذا العلم– قد سعوا إلى ضبط اللغة من خلال الأقيسة التي استمدوها من اللغة نفسها، ولكنهم أوقعوا أنفسهم في الحرج عندما حددوا القبائل العربية التي أخذوا عنها اللغة،وأهملوا قبائل كثيرة لأنها قد خالطت– بزعمهم– الأمم الأخرى، وابتعدت عن

[14] المدارس الفلسفية ص155

[15] من أفلاطون إلى ابن سينا ص43

[16] من أفلاطون إلى ابن سينا ص43

[17] انظر المدارس الفلسفية ص159–160

[18] تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مصطفى عبد الرزاق ص265 القاهرة /1944م/

[19] تاريخ الفلسفة الإسلامية ص233

[20] ينظر المرجع السابق ص234

الفصاحة التي ارتضوها، وحددوا زمان الاستشهاد بالشعر بإبراهيم بن هرمة أي بنصف القرن الثاني(150 هـ)، وأهملوا القراءات القرآنية إذا ما قيسوا بالكوفيين. واللغة كائن حي لا يمكن أن توضع في قوالب معينة محددة، لذلك تعارضت أقيستهم مع أساليب كثيرة، فما كان منهم إلا التأويل،أو وصفها بالشذوذ، أو أنها تحفظ ولا يقاس عليها. وهذا لا يعني تأثرهم بعلم المنطق والفلسفة،وإنما انطلقوا من منطقهم الطبيعي في خدمة هذه اللغة ووضع أسس تعلّمها وحفظها من الضياع، فاجتهدوا في وضع أصولهم انطلاقا من معايير ألزموها أنفسَهم، فهم لم يكونوا قد عرفوا أفلاطون ولا أرسطو.

ب– مدرسة الكوفة: كانت مدرسة الكوفة على النقيض من التشدد البصري في اتباع "الأصول" التي وضعوها، وقد وجدت مدرسة الكوفة في التراث العربي، وما هو عليه من غنى واتساع ووفرة المنهل الأساسي لعلم النحو. والكوفيون يقرون بمبدأ القياس شرط ألّا يؤدي ذلك إلى التضحية بأصول مسلَّم بها في التراث العربي، ولذلك قيل إن القواعد الكوفية في علم اللغة إذا قيست بالقواعد البصرية المتشددة لم تعد قواعد علمية بل هي بالأحرى مجموعة من الأحكام الخاصة تطلق على كل حالة بعينها، وتصبح كل حالة خاصة حالة نوعية. وكانت القواعد العامة والأسباب الموحدة يقابلها ميل نحو التنوّع يعطي اعتباراً للفردي والاستثنائي، والأصل الواحد .وفيما كان نحاة البصرة يعرضون عن كل أصل أو وزن لا يبرر خلافه للقياس عقلياً.

لم يكن نحاة الكوفة يأخذون بذلك، ذلك أن التراث العربي بأجمعه عندهم ،كما ورد عند الأعراب هو المصدر والأصل للنحو والقواعد ،وكل "أصل" سُمع في الكلام العربي القديم ما قبل الإسلام وفي الأدب العربي يمكن اعتباره أصلاً أساسياً وذلك لمجرد وروده في اللسان العربي القديم ،وكل شذوذ عن القاعدة يصبح هو، والحالة هذه، أصلاً بذاته أي أن مبدأ الشذوذ نفسه له اعتباره .

ومن هنا نشأ الصراع بين أهل القياس وأهل السماع[21] وإن كان د.إبراهيم السامرائي لا يوافق على تسمية أهل الكوفة بذلك فيقول: وإذا نظرنا في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات اتضح أن الكوفيين ليسوا أهل سماع، استقروا كلام العرب فبنوا عليه نحوهم، بل إنهم نحاة ذهبوا في نحوهم مذهب أصحابهم البصريين فعللوا وقدروا واختلفوا في التعليل. واختلفوا في العامل وطبيعته ومعنى ذلك أن الأسلوب المنطقي القائم على العامل والعلة والحكم متوفر لدى الباحثين من النحويين الكوفيين مثال على ذلك ما جاء في المسألة التاسعة والعشرين.[22] ويقول د.ابراهيم السامرائي: هكذا يذهب كل فريق من الفريقين مذهبه في الاحتجاج الذي يتصف بالتصنع والتكلف ويبتعد كل البعد عن المنهج اللغوي الصحيح الذي لا يحتاج إلى هذه التعليلات والاحتجاجات،[23] وقد عولجت المسألة (القول في عامل النصب في الظرف الواقع خبراً) على أساس أن الجار والمجرور والظرف متعلقان بالفعل أو بما يشبهه في كل موضع وجد فيه ظرف أو جار ومجرور، فإذا وقع الظرف خبراً نحو: زيد في الدار، وعمرو أمامك، كان الخبر في الحقيقة هو الذي تعلق به الظرف أو الجار والمجرور وكان تقدير هذا المحذوف فعلاً أوْلى عند جمهور النحاة البصريين لأن الأصل في العامل أن يكون فعلاً وأصل الكلام عندهم زيد استقر (أو حصل أو كان) في الدار وعمرو استقر (أو حصل أو كان) أمامك وقد حذف الفعل هنا لأنه كون عام مدلول عليه بقرائن القول.[24]

---

[21] ينظر تاريخ الفلسفة الإسلامية ص234–235

[22] الفعل زمانه وأبنيته ص10د.السامرائي مؤسسة الرسالة ط4/1986م وهي القول في عامل النصب في الظرف الواقع خبراً الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين والبصريين والكوفيون لكمال الدين أبي البركات الأنباري ج1ص213 دار الطلائع ج1ص213

[23] الفعل زمانه وأبنيته ص11

[24] في النحو العربي نقد توجيه د.مهدي المخزومي ص219 منشورات المكتبة–صيدا بيروت ط1/1964م

ولم يتصوّر البصريون أن يكون الجار والمجرور أو الظرف هو الخبر لأن الأول في محل نصب دائماً والثاني منصوب على الظرفية وعلى أنه مفعول فيه فلابد أن يكون الخبر هو ناصبهما وناصبهما فعل أو شبيه بالفعل كما قال ابن مالك:[25]

وأخبروا بظرف أو بحرف جر ناوين معنى كائن أو استقر

وفي هذا إبعاد في التخريج وتحميل للكلام مالا يحتمل لأن الظرف أو الجار والمجرور هو الذي يُتحدَّث به عن المبتدأ، فهو نفسه الخبر، أما تقدير فعل الكينونة الذي يبدو أن العربية كانت قد تخلّت عنه فيكمن في كل جملة اسمية، ولو لم يكن الخبر ظرفاً أو جاراً ومجروراً. لأن كل خبر جامد يصح نسبته إلى المخبر عنه بلفظ الكون تقول: هذا زيد، وإن شئت قلت: هذا يكون زيداً ،أو هذا كائن زيداً، ومنه قول أم عقيل:

أنت تكون ماجد نبيل إذا تهب شمأل بليل

ولكن فعل الكينونة لم يعد مراداً تقديره بعدما استغنت العربية عنه في الدلالة على وقوع الإسناد بالدلالة عليه بعلَم الإسناد وهو الضمة. ولنا فيما ذهب الكوفيون إليه ما يؤيدنا في معالجة مثل هذه المسألة على هذا النحو فقد ذهبوا إلى أن الظرف في قولنا: عمرو أمامك هو الخبر، ولم ينصب الظرف هنا لأنه مفعول فيه ،أو لأنه معمول للفعل ولكنه نصب لأنه خبر خالف المبتدأ فلم يكن عينه ولا صفة له في المعنى. [26]

- من خلال ما تقدم نجد أن الفلسفة قد بدأت الدخول إلى الثقافة العربية في دور النقل زمن الخليفة أبو جعفر المنصور، فالمأمون أسس بيت الحكمة سنة خمس عشرة ومئتين للهجرة ونجد أن علماء اللغة العربية الذين أسسوا وأرسوا قواعدها لم يعاصروا تلك الفترة فيونس بن حبيب قد توفي سنة اثنتين وثمانين ومئة للهجرة[27]. والخليل بن أحمد الفراهيدي توفي سنة خمس وسبعين ومئة للهجرة.[28] وتوفي سيبويه سنة ثمانين ومئة على أصح الأقوال. [29] وتوفي الكسائي سنة اثنتين وثمانين ومئة للهجرة.[30] وتوفي الفراء سنة سبع ومئتين.[31]

ولذلك أذهب مع د.عبده الراجحي في رأيه القائل: هناك اتجاه معاصر يجهد نفسه في البحث عن مصادر خارجية لتفسير الحياة العقلية عند العرب ويلتمس ذلك عند اليونان على وجه الخصوص، ومن ثم يذهب أصحابه إلى أن الدرس اللغوي عند العرب متأثر بالفلسفة اليونانية، بل مأخوذ من منطق أرسطو، ويعللون ذلك بوجود تشابه في بعض المصطلحات التي وردت في النحو مثلاً والتي عرفت عند أرسطو.... واتفاق ألفاظ المصطلحات لا يعني اتفاق المنهج فالذي لا شك فيه أن الحد والقياس في النحو غير الحد والقياس في المنطق الصوري وأن التعليل اللغوي غير التعليل الفلسفي بالإضافة إلى أنه ليست هناك قرائن تاريخية أو مادية ترجح فكرة التأثر أو النقل. والذي لا شك فيه أن الدرس اللغوي للعربية نشأ وتطور في مناخ عربي ومن ثم فإن محاولة فهمه من خارج هذا المناخ تؤدي إلى أخطاء.

---

[25] شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ص**111** تح.د.عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار الجيل،بيروت

[26] في النحو العربي نقد وتوجيه د. مهدي المخزومي ص**220**

[27] مراتب النحويين ص**44** د.عبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي،تح:محمد أبو الفضل إبراهيم–دار النهضة

[28] مراتب النحويين ص**54**

[29] نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري ت **577** هـ ، تح د.إبراهيم السامرائي، مكتبة الأندلس –بغداد ط**2**/ **1970**م

[30] الفهرست ص**50** وقبل /**189**/ نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات الأنباري تح د.إبراهيم السامرائي ط**2**/**1970**م ص**48**

[31] نزهة الألباء ص**81**

وإذا كان لنا أن نلتمس بعض المصادر التي تأثر بها الدرس اللغوي عند العرب فإنما نلتمسه داخل الحياة العقلية عند العرب وأهم هذه المصادر الفقه والكلام.[32]

- ومن وجوه المباينة ما بين المنطق والنحو ولا سيما النحو العربي أن المنطق لا يكاد يتناول إلا نمطاً واحداً من أنماط التعبير وهو ما اشتمل على حكم أي إثبات شيء لشيء أو نفيه عنه أي ما يسمى في مصطلح أصحاب المنطق (القضايا) وهو يكاد يكون مقصوراً على الجمل الاسمية والخبرية ولا يتناول سائر أنماط التعبير– ولا سيما تراكيب الإنشاء وصوره وسائر ما يعبّر عن ألوان الانفعال، على حين أن النحو يتناول هذا كله ووسائل التعبير عنه ومسالكه.[33]

مدى تأثر نحاتنا الأوائل بالمنطق والفلسفة:

- من الأدلة على أن النحويين الأوائل بنوا أصولهم ومفاهيمهم على اعتبارات لغوية خالصة ناظرين إلى الغرض من علم النحو أنهم لم يكادوا يتطرقون إلى الحدود وإنما كان تصنيفهم لأنواع الكلم بالنظر إلى خصائصها اللغوية خاصة،حتى إذا تطرق بعض نحاة الطبقات التالية إلى حد بعض الأشياء كان همهم أن يحدّوها بالنظر إلى خصائصها اللغوية أيضاً غير آبهين إلى طرائق أصحاب المنطق في الحدود .[34] فالفراء يعد من أوائل النحاة الذين عنوا بالحدود النحوية، وقد وضع كتاباً سماه(حد النحو) وقد بلغت حدود الفراء خمسة وأربعين حداً.[35] وهي حدود نحوية تنطلق من النحو في تطبيقه الواقعي، وتتعامل مع الوقائع النحوية من حيث كونها ظواهر لغوية، ولا نكاد نجد فيها من آثار المنطق وعلم الكلام سوى النزوع إلى التحديد، والتخصيص وتفصيل جوانب الكلام كما أنها تفتقر إلى التنظيم والشمولية من ذلك حدّه لمصطلح الصرف، قال:"فإن قلت: وما الصرف؟ قلت:"أن تأتي بالواو معطوفة على كلام في أوله حادثة لا تستقيم إعادته على ما عطف عليها، فإن كان كذلك فهو الصرف."[36] واستخدم الكوفيون الصرف في نصب المفعول معه، والفعل المضارع المنصوب بعد واو المعية،وفاء السببية، و أو.ونستطيع أن نقول:إن حدود الفراء لا تتعدى مجال المباحث النحوية التي وجدت عند سيبويه ومَنْ كان في عصره. وقد أبان عن هذا المعنى أبو إسحاق الزجاجي في غير موضع من كتاب الإيضاح كقوله في الاسم:"الاسم في كلام العرب ما كان فاعلاً أو مفعولاً أو واقعاً في حيز الفاعل والمفعول به. هذا الحد داخل في مقاييس النحو وأوضاعه وليس يخرج عنه اسم البتة ولا يدخل فيه ما ليس باسم وإنما قلنا في كلام العرب لأنّاله نقصد وعليه نتكلم ولأن المنطقيين وبعض النحويين قد حدّوه حداً خارجاً عن أوضاع النحو فقالوا:الاسم صوت موضوع دال باتفاق على معنى غير مقرون بزمان.*

وليس هذا من ألفاظ النحويين ولا أوضاعهم وإنما هو من كلام المنطقيين وإن كان قد تعلق به جماعة من النحويين، وصحيح على أوضاع المنطقيين ومذهبهم لأن غرضهم غير غرضنا ومغزاهم غير مغزانا وهو عندنا على أوضاع النحو غير صحيح لأنه يلزم منه أن يكون كثير من الحروف أسماء لأن من الحروف ما يدل على معنى دلالة

---

[32] ينظر فقه اللغة في الكتب العربية د.عبده الراجحي ص173–175 وينظر في ذلك الأصول د. تمام حسان ص51 عالم الكتب عام 2000م

[33] القياس في النحو مع تحقيق باب الشاذ من المسائل العسكريات لأبي علي الفارسي د.منى إلياس ص129دار الفكر ط1/1985م

[34] القياس في النحو د.منى الياس ص120

[35] الفهرست ص102

[36] معاني القرآن للفراء ج1 34

غير مقرونة بزمان نحو(إن) و(لكن) وما أشبه ذلك.[37] والزجاجي دعا إلى أن تستنبط الحدود النحوية من الحقائق النحوية، وإلى تنقية النحو من التأثر بغيره من العلوم كالمنطق والفلسفة.

وكلام علمائنا في تلك الفترة كان مرتكزاً على خصائص العربية وطبيعتها، وليس مستنداً إلى المنطق وأساليبه في الحدود. أما أرسطو فينظر إلى الحد على أنه كاشف للماهية ويعني ذلك أن حدوده التي ساقها في الاسم والكلمة والأداة تكشف عن ماهية هذه الأقسام الثلاثة وهي جامعة مانعة .فكيف يقرن هذا إلى كلام سيبويه الذي نجده في كتابه فهو ليس بحد–بالمعنى الاصطلاحي– وهو يبتعد عن ذكر التعريفات

–على وجه العموم– فيكتفي بذكر اسم الباب،ثم يبدأ بعرض أمثلة توضح ما يريد من ذلك،فهو لم يحد الاسم حداً يفصّله ويميّزه عن غيره بيد أنه مثله، قال:"فا لكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل فالاسم رجل وفرس وحائط وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع ويورد أمثلة للأفعال والأحداث نحو الضرب والحمد والقتل وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فنحو: ثم وسوف وواو القسم ولام الإضافة ونحوها .[38]

ومن الأدلة التي تثبت عدم التأثر بالمنطق في الفترة الأولى لنشأة النحو طريقة القدماء في الأخذ عن معلميهم مباشرة، والقراءة عليهم وهم قلما يقرؤون الكتب والصحف دون معلّم، ينقلون عن شيوخهم ويحدّثون عنهم ولو أن أحد النحاة تأثّر بمصادر خارجية لما أغفلت كتب التراجم ذلك .

وكان من المستبعد في مرحلة نشأة العلوم العربية أن يأخذ علماء اللغة بمنطق اليونان وعلومهم عامة لأنها كانت تمتزج بالإلهيات والديانة اليونانية التي تخالف الدين الإسلامي، والروح الدينية التي تسري في الدراسات الفكرية الروحية التي قام بها الفقهاء وعلماء الكلام ثم علماء النحو واللغة فيما بعد، ويرجّح أن ما ترجم في هذه الفترة من منطق أرسطو لم يكن يتعدى المختصين بالدراسات اليونانية من السريان والفرس وبعض العرب الذين قاموا بدور النقل والترجمة.

والأدلة النقلية تنفي تأثّر اللغويين الأوائل بمنطق أرسطو حتى القرن الرابع الهجري من ذلك ما قاله أحمد بن فارس:" وزعم ناس يتوقف عن قبول أخبارهم أن الذين يُسمَّون الفلاسفة قد كان لهم إعراب ومؤلفات نحو... وهذا كلام لا يعرّج على مثله وإنما تشّبه القوم آنفاً بأهل الإسلام فأخذوا من كتب علمائنا وغيّروا بعض ألفاظها "[39] فابن فارس لا ينكر الصلة فحسب بل إنه ليزعم زعماً واهماً أيضاً فيدعي أن الفلاسفة أخذوا النحو عن العرب. ومثله ابن قتيبة يقول:"ولو أن مؤلّفا حدّ المنطق بلغ زماننا هذا حتى يسمع دقائق الكلام في الدين والفقه والفرائض والنحو لعدّ نفسه من البكم أو سمع كلام رسول الله ﷺ وصحابته لأيقن أن للعرب الحكمة وفصل الخطاب " [40] وإذا كان ابن فارس وابن قتيبة ينكران ذلك ولا يستغرب منهما ذلك، فهذا يدل على بُعد اللغويين عن المنطق. ويشير أبو سعيد السيرا في إلى الانفصال

---

* جاء في الصاحبي أن هذا الحد نقل عن الزجاج وتجد فيه أقوالاً في حد الاسم لسيبويه والكسائي والأخفش وهشام والمبرد والزجاج وغيرهم (الصاحبي في فقه اللغة احمد بن فارس **49–51** علق عليه:أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية– بيروت ط**1** /**1997**

[36] الإيضاح في علل النحو الزجاجي ص**48** تح د.مازن البارك دار النفائس ط **4**/**1982**م

المنطقيون أشد تحرجاً في الحد وكونه جامعاً مانعاً ولكن الزجاجي لم ينتبه إلى أنهم لا يعتبرون الحروف لأنها لا تستقل بالمعاني وإنما هي عندهم روابط الإيضاح في علل النحو هامش ص**48**

[38] الكتاب كتاب سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر.تح:عبد السلام محمد هارون الناشر:مكتبة الخانجي بالقاهرة ط**4**/**2006**م ج**1**ص**12**

[39] الصاحبي في افقه للغة ص**42**

[40] أدب الكاتب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق محمد الدالي ص**9** ، مؤسسة الرسالة –بيروت ط**2**/**1985**م

بينهما ففي مناظرته الشهيرة مع أبي بشر متى بن يونس نجده يربط بين المنطق اليوناني واللغة اليونانية يقول:"إذا كان المنطق وضعه رجل من يونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها وما يتعارفون بها من رسومها وصفاتها فمن أين يلزم الترك والهند والفرس والعرب أن ينظروا فيه ويتخذوه حكماً لهم وعليهم". [41] ولم يكتف بذلك بل هاجم المنطق وشك في دقة نقله من اليونانية إلى السريانية ثم من السريانية إلى العربية والنقلة يجهلون العربية ودقائقها وحسن التصرف في أساليبها [42] وذهب إلى أن أصول الفقهاء خير من أصول المناطقة فقال لأبي بشر"وأنت لو عرفت العلماء والفقهاء ومسائلهم ووقفت على غورهم في فكرهم وغوصهم في استنباطهم وحسن تأويلهم لما يرد عليهم، وسعة تشقيقهم للوجوه المحتملة والكنايات المفيدة والجهات القريبة والبعيدة لحقرت نفسك وازدريت أصحابك "[43] ثم إنه يجد النحو العربي مبنياً على لغة العرب، مستنبطاً من أصولها حتى يُعدّ ضرباً من المنطق يقول:"والنحو منطق ولكنه مسلوخ من العربية، والمنطق نحو، ولكنّه مفهوم باللغة".[44]

وابن السراج (316 هـ)فلم يتأثر بعلم المنطق ،ما تركه من تراث نحوي لا يحمل إلا عبارات النحويين فكتابه الموجز يشبه كتاب الجُمل للزجاجي وليس فيه غير النحو المبسّط المكثّف، أما كتابه (الأصول) فقد أقامه على ألفاظ سيبويه وشواهده ولكن القدماء يذكرون أن ابن السراج شُغل حيناً من الدهر بدراسة المنطق والموسيقا [45] فخيّل إلى المتأخرين منهم أنه أفاد في درسه النحو مما أخذه من علم المنطق، فذكروا أنه انتزع كتابه من أبواب كتاب سيبويه وجعل أصنافه بالتقاسيم على لفظ المنطقيين،فأُعجب بهذا اللفظ المنطقيون، وإنما أدخل فيه لفظ التقاسيم، فأما المعنى فهو كله من كتاب سيبويه على ما قسّمه ورتّبه [46]وتدل المادة النحوية في كتاب "الأصول" على أنه لا يخرج عن أن يكون تبويباً وتصنيفاً للآراء النحوية المتناثرة في مواضع متفرقة من كتاب سيبويه وكتاب المبرد"المقتضب"، بل إن ما فيه من أقيسة وعلل دون أقيسة المبرد وعلله، وكثيراً ما يستعين بلفظ سيبويه وعلله وأقيسته ويستشهد بشواهده وأمثلته.

اتصل الفكر العربي بالفكر الإنساني في أوسع نطاق له أيام الدولة العباسية، وأتاح ذلك لجمهور المثقفين أن يقفوا على حصيلة التراث الإنساني في الهند، وفارس واليونان . وتمكنوا بذلك من أن يرفدوا ثقافتهم العربية والإسلامية بألوان جديدة من الفكر، تركت آثارها في مناهج هذه الثقافة وتنوعها، ومع ازدياد الترجمة وانتشارها، وتشجيع الدولة، نشأ جيل مثقف بالثقافات غير العربية وبالثقافة اليونانية على وجه الخصوص، فأحاط بالفلسفة والمنطق الأرسطي، وقد قوبل من العلماء من ذوي الثقافة العربية الخالصة بمقاومة شديدة ، ونلحظ هذا الرفض للمنطق من خلال رفض الفلسفة عند ابن فارس.[47] ولكن هؤلاء العلماء المتشددين لم يلبثوا أن وجدوا أنه من الضروري الوقوف على هذه الثقافات حتى يتمكنوا من أن يبنوا رفضهم على أسس علمية مقنعة. ولم يكد ينتهي القرن الرابع الهجري حتى كان المنطق الأرسطي قد استطاع أن يحرز تقدماً كبيراً في الفكر الإسلامي والعربي بما أحدث من آثار في مناهج العلوم الإسلامية والعربية.

---

[41] معجم الأدباء لياقوت راجعة وزارة المعارف العمومية.دار إحياء التراث بيروت ط2/دون تاريخ 1958

[42] المصدر السابق 8/205-215/

[43] المصدر السابق 8/224-225/

[44] المصدر السابق 5/203

[45] إنباه الرواة للقفطي ،تح:محمد أبو الفضل إبراهيم م3/148- دار الكتب المصرية- القاهرة ط1/1950م

[46] المصدر السابق م 3/149

[47] ينظر الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ص76-77.

أثر الفقه في النحو:

تعريف الفقه:هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية أو هو مجموعة الأحكام الشرعية المكتسبة من أدلتها التفصيلية، وهو يشمل جميع ما هو معروف من نثريات الأحكام الواجبة والمندوبة والحرام والمكروهة والمباحة في نطاق العبادات والطهارات والمعاملات والعقود والعقوبات الشرعية والجهاد وأحكام الفرد والأسرة والوصية والوقف والميراث. والفقيه يُعنى بتطبيق القاعدة الأصولية على الجزئيات فهو الذي يستنبط حكم وجوب الصلاة من قوله تعالى:" وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ" ويستنبط حكم تحريم السرقة من قوله تعالى :" وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا"[48]

- أصول الفقه: معناه أدلة الفقه وهي القواعد التي يتوصل بها المجتهد إلى استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية.

- والقواعد: هي الضوابط الكلية العامة التي تشتمل على أحكام جزئية....

- والأحكام: هي ثمرة الاستنباط ،وهي المتعلقة بأفعال المكلَّفين المتعبدين بالشريعة واصفة إياها إما بالإيجاب كفرضية الصلاة، أو بالتحريم كتحريم الربا أو بالتخيير والإباحة كالأكل والشرب في الأحوال العادية أو بالندب مثل كتابة الدَّيْن والإشهاد على البيع.... وتسمى هذه الأحكام بالأحكام العملية في مقابل الأحكام الاعتقادية كالإيمان بالله ووحدانيته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والأحكام الأخلاقية كوجوب الصدق وحرمة الكذب[49].

-وقد حقق علماء الكلام قواعد هذا العلم وبحوثه تحقيقاً منطقياً نظرياً وأثبتوا ما أيده البرهان ولم يجعلوا وجهتهم انطباق هذه القواعد على ما استنبطه الأئمة المجتهدون من الأحكام ،ولا ربطها بتلك الفروع ،فما أيّده العقل وقام عليه البرهان، فهو الأصل الشرعي سواء أوافق الفروع المذهبية أم خالفها ومن أشهر الكتب الأصولية التي ألّفت على هذه الطريقة كتاب المستصفى لأبي حامد الغزالي الشافعي (ت505هـ) وكتاب (الإحكام)لأبي حسن الآمدي الشافعي (ت631هـ) وكتاب (المنهاج) للبيضاوي الشافعي (ت785هـ) وهناك طريقة علماء الحنفيّة التي تقوم على تحقيق الأحكام التي استنبطها أئمتهم والبرهان عليها ومن ثم البناء عليها ولهذا أكثروا من ذكر الفروع [50].

- وقد تأثر علماء اللغة بالفقه فكان الخليل يحذو حذو أبي حنيفة حتى إنه ليصرح في كتابه(العين) أنه يقيس على مذهبه [51] قال الليث بن المظفر"قلت للخليل: زعمت أن عشرين جمع عشر والعشر تسعة أيام فكان ينبغي أن يكون العشرون سبعة وعشرين يوماً حتى تستكمل ثلاثة أتساع. فقال الخليل: ثمانية عشر يوماً عشران واليومان مع الثمانية عشر جزء من العشر الثالث، وعُدّا مع الثمانية عشر يوماً ،فسميت بالجميع.قلت:من أين جاز ذلك ولم تستكمل الأجزاء الثلاثة؟ هل يجوز أن تقول للدرهم ودانقين ثلاثة دراهم؟قال:لا أقيس على هذا ولكن أقيسه على قول أبي حنيفة ألا ترى أنه قال: طلقتها تطليقتين وعشرِ تطليقة ،هي ثلاث تطليقات، وليس من التطليقة الثالثة إلا عشر تطليقة، فكما جاز لأبي حنيفة أن يعتد بالعشر جاز أن أعتد باليومين" وعلى الرغم مما في هذا القياس من تكلف نراه يدل على صلة النحو بالفقه، ويدل على أن هناك أقيسة نحوية كثيرة لم يصرح أصحابها بتأثرهم فيها بفقه أبي حنيفة وغيره [52] والخليل من أعظم النحاة الذين أخذوا بمنهج الرأي وفسروا ظواهر اللغة وبُناها الداخلية والخارجية تفسيراً ذهنياً يفيد من نظم اللغة

---

[48] أصول الفقه د.وهبه الزحيلي ص11 كلية الدعوة الإسلامية– طرابلس ط1/1990م

[49] ينظر أصول الفقه د. الزحيلي ص41 وانظر علم أصول الفقه عبد الوهاب خلاف ص12–13 الدار المتحدة دمشق ط16/1992م

[50] علم أصول الفقه عبد الوهاب خلاف ص18

[51] كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ج1ص285–286،دار الهجرة– إيران ط1/1405هـ/

[52] المفصل في تاريخ النحو العربي د.محمد خير الحلواني ج1 ص281–282 مؤسسة الرسالة بيروت ط1/1979م

ويُعنى بأعرافها وقد نقل الزجاجي ذلك بقوله:" وذكر بعض شيوخنا أن الخليل بن أحمد– رحمة الله– سُئل عن العلل التي يعتلّ بها في النحو فقيل له عن: عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك؟ فقال: إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها وقام في عقولها علله وإن لم يُنقل ذلك عنها واعتللتُ أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمست .... فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها" وهذا كلام مستقيم وإنصاف من الخليل .[53]

– وقد نجمت فكرة العامل من التأثر بالفقه، إذ قال بها الفقهاء وتبعهم النحاة ،وقد سيطرت على كتاب سيبويه وكتب النحو بعده فأجازوا فصل المعمول عن بعض العوامل ،ومنعوا الفصل في عوامل أخرى ،فالفعل واسم الفاعل المنون يجوز فصل معموليهما عنهما،[54] أما (أن وكي وإن) فلا يجوز الفصل فيها جميعاً[55]. وذكروا أن بعض الحواجز غير منيعة كالظرف والجار والمجرور ولذلك أجازوا أن تفصل بين(إن) وأخواتها ومعمولاتها وبين (ما) الحجازية ومعمولها .[56] ويقرّ النحاة أنهم احتذوا في أصولهم أصول الفقه عند الحنيفية خاصة، فهذا ابن جني يصّرح فيقول:"ينتزع أصحابنا العلل لأنهم يجدونها منثورة في أثناء كلامه فيجمع بعضها إلى بعض بالملاطفة والرفق".[57]

فقد جمع ابن جني عناصر العلة فيما ذكر من كلام أصحابه النحويين، وقد كانت منثورة فيه كما كان أصحاب محمد بن الحسن * يجمعون العلل الفقهية من كلامه، فله في النحو أسوة بأصحابه في الفقه [58] ويعقد باباً سماه(باب ذكر علل العربية أكلامية هي أم فقهية" يثبت فيه: "أن علل النحويين –وأعني حذاقهم المتقنين لا ألفافهم المستضعفين– أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين. وذلك أنهم يحيلون على الحسّ، ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس، وليس كذلك حديث علل الفقه وذلك أنها إنما هي أعلام وأمارات لوقوع الأحكام ووجوه الحكمة فيها خفية عنّا غير بادية الصفحة لنا...." [59] ويتابع في طرح الأسئلة ليجيب عليها ويناقش قائليها فيقول : "لسنا ندعي أن علل أهل العربية في سمت العلل الكلامية البتة، بل ندعي انها أقرب إليها من العلل الفقهية [60] واستمر العلماء بعده على هذه الطريقة فهذا كمال الدين الأنباري من أهل المئة السادسة يضع كتابه (لمع الأدلة) ليكون للنحو بمنزلة (علم الأصول) للفقه عقد فيه فصولاً عدة للقياس وأنواعه كما كان فعل علماء الفقه وأصوله، و كتاب (لمع الأدلة) اتخذ أبو البركات عنوانه من كتاب فقهي لعبد الملك بن عبد الله الجويني المعروف بإمام الحرمين (ت 478هـ) وكتابه (الإنصاف في مسائل الخلاف) منقول عنوانه من كتاب لأبي سعيد محمد بن يحيى بن منصور النيسابوري(ت548هـ) والكتاب السابق صنفه على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة [61] وجاء السيوطي (911هـ) يؤلّف كتاب

---

[53] انظر الإيضاح في علل النحو– الزجاجي ص65–66

[54] الكتاب ج1 ص175

[55] الكتاب ج3 ص15–16

[56] الكتاب ج1ص71

[57] ينظر الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني تح: محمد علي النجار ج1 ص163، دار الهدى:بيروت ط2/دون تاريخ

*هو صاحب أبي حنيفة وله في الفقه كتاب الجامع الكبير والجامع الصغير وهو ابن خالة الفراء ويروى عن الشافعي أنه قال: ما رأيت سمياً ذكياً إلا محمداً بن الحسن مات بالري سنة /118/ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب تصنيف أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ت626هـ م4/184–185 دار الكتب العلمية بيروت ط1/1991م

[58] الخصائص ج1ص48

[59] الخصائص ج1ص48

[60] الخصائص ج1ص53

[61] الخلاف النحوي د. محمد خير الحلواني ص103

(الاقتراح) ويذكر أنه:"بالنسبة إلى النحو كأصول الفقه بالنسبة إلى الفقه.... ورتبته على نحو أصول الفقه في الأبواب والفصول والتراجم "[62]

طرائق الاستدلال: إن كانت طرائق الاستدلال في اللغة تعود إلى القياس والعلة فإنها ذات أسلوب يميزها من غيرها وقد استمدها النحاة من أساليب الفقهاء وعلماء الكلام ومنها السبر والتقسيم والاستدلال بالأولى ومراعاة النظير والاستحسان والقول بالموجب واستصحاب الحال .[63]

الخاتمة

وفي خاتمة البحث يمكن أن نقول:

– إن المنطق وسيلة يمكن أن يستعملها النحوي المعلل، فليس هناك مانع من الفلسفة النحوية وسيلة لتنظيم الفكر، وترتيب العرض،وتوضيح القاعدة، أما إذا خرجت عن هذه الأصول في الاستعمال إلى الغلوي والجدل،وتعليل التعليل ،فهذا هو المنهج الفلسفي المنبوذ.

– هناك قابلية لتفاعل العلوم بعضها ببعض، وذلك كاستعانة النحو بأساليب الإقناع في المنطق. واستعانة الفقه ببعض أحكام النحو، بيد أن هناك حداً لهذا التفاعل لا يمكن تجاوزه عندما يتعلق الأمر بخصوصية هذا العلم أو ذاك... فليس باستطاعة علم المنطق ولا الفقه أن يكونا مرجعين في تقرير ماهو صحيح نحوياً مما ليس كذلك من الكلام العربي.[64]

فلسفة أفلاطون انتقلت إلى اللغة العربية من ثلاث طرق:

- طريق مباشرة وهي كتب أفلاطون، وانتشار آرائه بين حملة العلم السوريين والمصريين، وفلسفة الإسكندرية.

- بدأ تاريخ الفلسفة العربية في زمان بني أمية فاستقدم المنصور الطبيب جرجيس بن يختيشوع، وأنشأ المأمون بيت الحكمة وفيه تمت الترجمة من السريانية واليونانية إلى العربية ثم ظهور الفلاسفة العرب كأبي يعقوب الكندي، وابن خلدون.

- اعتماد مدرسة البصرة على المقاييس العقلية لا يعني تأثرهم بالفلسفة وكذلك احترام مدرسة الكوفة للأصول العربية يُبعدها عن الفلسفة.

- إن نحاتنا قد تأثروا بالفقه، فكان الخليل يحذو حذو أبي حنيفة فيقيس على مذهبه.

- وعلل أهل العربية أقرب إلى العلل الفقهية وقد استمدوا عناوين كتبهم من عناوين كتب الفقه.

- استمد النحاة طرائق الاستدلال من أساليب الفقهاء وعلماء الكلام.

---

[62] في أصول النحو سعيد الأفغاني ص101 دار الفكر مطبعة جامعة دمشق ط3/1964م

[63] ينظر أصول النحو العربي د.محمد خير الحلواني ص120 وما بعدها.

[64] ينظر القواعد النحوية مادتها وطريقتها، عبد الحميد حسن ص257 مكتبة الأنجلو المصرية– القاهرة ط1/1952م

المراجع:

1. أدب الكاتب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة –بيروت ط1985/2م
2. الأصول د. تمام حسان عالم الكتب عام 2000م
3. أصول الفقه د.وهبه الزجيلي كلية الدعوة الإسلامية– طرابلس ط1990/1م
4. الإيضاح في علل النحو الزجاجي تح د.مازن البارك دار النفائس ط 1982/4م
5. إنباه الرواة للقفطي ،تح:محمد أبو الفضل إبراهيم دار الكتب المصرية– القاهرة ط1950/1م
6. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين والبصريين والكوفيون لكمال الدين أبي البركات الأنباري
7. دار الطلائع ص213
8. تاريخ الأدب العربي كارل بروكلمان نقله إلى العربية د. عبد الحميد نجار، دار المعارف في مصر ط2 1968م.
9. تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي مطبعة الاستقامة القاهرة ط3 / 1953–1954م
10. تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مصطفى عبد الرزاق القاهرة /1944م/
11. الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني تح: محمد علي النجار دار الهدى:بيروت ط2/دون تاريخ
12. الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين وكتاب الإنصاف د.محمد خير الحلواني دار القلم العربي بحلب
13. شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم تح.د.عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار الجيل،بيروت
14. الصاحبي في فقه اللغة احمد بن فارس ، علق عليه:أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية– بيروت ط1 /1997
15. علم أصول الفقه عبد الوهاب خلاف –الدار المتحدة دمشق ط1992/16م
16. العين –الخليل بن أحمد الفراهيدي.تح : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي– دار الهجرة،إيران ط1405/1هـ/
17. الفعل زمانه وأبنيته د.السامرائي مؤسسة الرسالة ط1986/4م
18. فقه اللغة في الكتب العربية د.عبده الراجحي 1979
19. فلسفة عبد القاهر الجرجاني النحوية في دلائل الإعجاز،نوار علي مخيمر دار الثقافة– القاهرة /1983م
20. في أصول النحو سعيد الأفغاني دار الفكر مطبعة جامعة دمشق ط1964/3م
21. في النحو العربي نقد توجيه د.مهدي المخزومي منشورات المكتبة–صيدا بيروت ط1964/1م
22. الفهرست للنديم، أبو الفرج محمد بن إسحق المعروف بالوراق،تح:رضا تجدّد
23. القواعد النحوية مادتها وطريقتها، عبد الحميد حسن مكتبة الأنجلو المصرية– القاهرة ط1952/1م
24. القياس في النحو مع تحقيق باب الشاذ من المسائل العسكريات لأبي علي الفارسي د.منى إلياس دار الفكر ط1985/1م
25. الكتاب كتاب سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر.تح:عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة ط2006/4م
26. المدارس الفلسفية د.أحمد فؤاد الأهواني دار البعث /2007م/
27. مراتب النحويين د.عبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي،تح:محمد أبو الفضل إبراهيم–دار النهضة
28. مشكل إعراب القرآن لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تح د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة ط4 /1988م
29. معجم الأدباء لياقوت راجعة وزارة المعارف العمومية.دار إحياء التراث بيروت ط2/دون تاريخ 1958
30. المفصل في تاريخ النحو العربي د.محمد خير الحلواني مؤسسة الرسالة بيروت ط1979/1م
31. من أفلاطون إلى ابن سينا د.جميل صليبا ونزار عيون السود دار البعث
32. موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب،دار الكتب العلمية– بيروت ط1 /1992/
33. النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج) د.عبده الراجحي مطبعة دار نشر الثقافة 1977
34. نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري ت 577 هـ ، تح د.إبراهيم السامرائي، مكتبة الأندلس –بغداد ط2/ 1970م